المدن والقرى اللبنانيّة
من خلال بعض الجغرافيّين العرب
بين القرنين العاشر والرابع عشر

الدكتور جوزيف أبو نجم*

تندرج هٰذه الدراسة ضمن إطار البحث عن الخريطة السكّانيّة في لبنان بين القرنين العاشر والرابع عشر استنادًا إلى المصادر العربيّة، وتحديدًا مصادر الجغرافيّين، وجلاء نظرة هؤلاء الجغرافيّين العرب إلى المواقع السكنيّة في لبنان[1].

(*) رئيس قسم اللغة العربيّة وآدابها في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - الفرع الثاني، الجامعة اللبنانيّة. ودراسته هذه أُلقيت محاضرةً يومَ ٥ أيّار/ مايو ١٩٩٤ في المؤتمر الأوّل حول «السكن في لبنان منذ ما قبل التاريخ وحتّى نهاية عصر المماليك» الذي عُقِد بين الثالث والسادس من الشهر المذكور، بكلّيّة الآداب المشار إليها.

(١) نعرض في ما يلي أسماء الجغرافيّين العرب، مصادر هذه الدراسة، بحسب ترتيبهم الزمنيّ:
- اليعقوبيّ (أحمد بن واضح): ت ٨٩٧.
- ابن خُرداذبه (عبيدالله بن أحمد): ٨٢٠؟ - ٩١٣.
- قدامة بن جعفر: ت ٩٤٨.
- ابن الفقيه الهمذانيّ (أبو بكر أحمد): أوائل القرن ١٠.
- ابن حوقل: ت ٩٧٧.
- المقدّسيّ (شمس الدين): ت نحو ٩٩٠.
- ابن جبير (محمّد بن أحمد): ١١٤٥-١٢١٧.
- ياقوت الحمويّ: ١١٧٩-١٢٢٩.
- أبو الفداء (إسماعيل، الملك المؤيّد): ١٢٧٣-١٣٣١.
- ابن بطّوطة (محمّد بن عبدالله): ١٣٠٣-١٣٧٧.

وإنّ النظرة الأولى إلى أسماء المدن والقرى المتجمّعة لدينا ـ وهي حوالى ستّين اسمًا عند عشرة جغرافيّين بينهم ياقوت! ـ تدلّنا على قلّة التفات الجغرافيّين العرب إلى لبنان عمومًا وجبل لبنان خصوصًا. أمّا الأماكن التي ذكروها، فإنّها تتفاوت عددًا ومادّةً بين كاتب وآخر. لذلك، لا يمكننا القول إنّ المصادر الجغرافيّة تغطّي، مُجتمِعةً، أبوابًا متكاملةً في الحضارة اللبنانيّة عمومًا، والسكنيّة خصوصًا، في المدّة التي كتب عنها هؤلاء الجغرافيّون؛ بل إنّنا نقع فيها على نُتَف ولمحات متباينة الأهمّيّة، تُشكّل أجزاء بسيطة جدًّا من المواضيع الحضاريّة التي يَطمح الباحث أن يستخلصها من كُتُبٍ تُعتبر مصادر الحقبة المذكورة، ليَبنيَ عليها هيكليّة الحضارة اللبنانيّة من مختلف أوجهها، بما فيها السكنيّة.

وعليه، سنعرض أسماء المدن والقرى والمواقع اللبنانيّة كما وردت عند الجغرافيّين العرب، موضوع الدراسة، مُقدِّمين المعلومات داخل كلّ مادّةٍ متدرِّجةً بحسب ترتيب المصادر الزمنيّ[1].

---

(١) رتّبنا أسماء المدن والقرى ألفبائيًّا. كما اعتمدنا في الهوامش الاختصارات التالية لمصادر الدراسة:

- اليعقوبيّ ← ي
- ابن خرداذبه ← خ
- قدامة بن جعفر ← ق
- ابن الفقيه ← ف
- ابن حوقل ← ح
- المقدّسيّ ← م
- ابن جبير ← ج
- ياقوت ← يا
- أبو الفداء ← بف
- ابن بطّوطة ← ب

أمّا الشروحات اللغويّة فهي مأخوذة من لسان العرب لابن منظور الذي عاصر الحقبة موضوع الدراسة.

إزِيلُ

«... إسم لمدينة صيداء التي بالساحل من أرض الشام»[1].

أُسْطُوان

«... وأهل الأُسطوان: قوم من الحكماء الأوّل كانوا ببعلبكّ...»[2].

أَنَفَه - أَنَفَة[3]

ورد اسم أنفه على خريطة هي «صورة الشأم» عند ابن حوقل[4]. وقال في موضوع آخر: «... والباقي من الشأم في أيدي المسلمين وحكمهم فيه نافذ وأمرهم فيه ماضٍ فهو ما كان على ساحل بحر الروم [من] حدّ أطرابلس وأنفه إلى نواحي يافا وعسقلان...»[5].

أمّا ياقوت فقد عرّفها بأنّها «... بُليدة على ساحل بحر الشام شرقيّ جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ»[6].

بَثْرون

ورد الاسم عند ابن حوقل في «صورة الشأم»[7].

أمّا ياقوت فقد حَرَّكها بفتح الثاء «بثَرون» وقال: «حصن بين جبيل وأَنَفَة على ساحل بحر الشام»[8].

بَعْلَبَكّ

ذكرها اليعقوبيّ على طريق «البريد» بين حمص ودمشق، قال: «ومَن سلك من حمص على طريق البريد أخذ من جوبسة إلى البقاع ثمّ إلى مدينة بعلبكّ

(١) يا: ج١، ص ١٤٠ (أطلب لائحة المصادر والمراجع في آخر البحث).
(٢) يا: ج١، ص ٤٦٦، دمشق.
(٣) ورد الاسم بالهاء عند ابن حوقل (ص ١٦٥، ١٦٧) وبالتاء المربوطة المنقرطة عند ياقوت (ج١ - ص ٢٧١).
(٤) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٥) ح: ص ١٨٨.
(٦) يا: ج١، ص ٢٧١.
(٧) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٨) يا: ج١، ص ٣٣٨.

وهي إحدى مدن الشام الجليلة وبها بنيان عجيب بالحجارة وبها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم وداخل المدينة الأجنّة والبساتين ومن مدينة بعلبكّ إلى عقبة الرمّان ثمّ إلى مدينة دمشق...»[1].

وذكرها ابن خُرداذبُه كذلك في سياق تعداده كورةَ دمشق وأقاليمَها[2]، وذكر أنّها على طريق البريد من حمص إلى دمشق[3]؛ أمّا الطرقات بين المدن على طريق البريد فهي «من حمص إلى جوسية أربع سكك[4]، ثمّ إلى بعلبك ستّ سكك، ثمّ إلى دمشق تسع سكك»[5]. وجاءت الفكرة ذاتها عنده لدى ذكره سكك طريق المغرب[6]. كذلك يذكر بعلبكّ في فصل «عجائب البنيان»[7] إلاّ أنّه لا يذكر لنا أيّ تفصيل عنها بل يكتفي بذكر اسمها لا غير!!

ويذكر قدامة بن جعفر الطريق بين حمص ودمشق مرورًا ببعلبكّ لكنّه يحدِّد المسافات بين المدن والقرى على الطريق بالأميال: «... ومن جوسية إلى إيعاث عشرون ميلًا[8] ومن إيعاث إلى بعلبكّ ثلاثة أميال ومن بعلبكّ يسرةً على جبل يسمّى رمس خمسون ميلًا»[9].

ثمّ يذكر طريق الدارج بين بعلبكّ وطبريّة[10]، ويذكر بعلبك أيضًا في ذكر الطريق الآخذ إلى أكناف نواحي المغرب[11].

كما نجد عند ابن حوقل رسمًا للطريق بين حمص ودمشق في «صورة الشأم» وعلى الطريق اسم مدينة بعلبكّ[12]. إلاّ أنّنا نصادف عنده، لاحقًا، وصفًا عامًّا لبعلبكّ يذكر فيه أنّ عامّة أبنيتها من حجارة، وأنّها كثيرة الخير

---

(١) ي: ص ٣٢٥.
(٢) خ: ص ٧٤.
(٣) خ: ص ٨٩.
(٤) السِّكّة: الطريق المُستوي، ربه سُمِّيت بكك البريد.
(٥) خ: ص ٨٩.
(٦) خ: ص ١٠٣.
(٧) خ: ص ١٣٩.
(٨) الميلُ من الأرض: قَدْرُ مُنتهى مدّ البَصَر... وقيل للأعلام المبنيّة في طريق مكّة أميال لأنّها بُنيت على مقادير مدى البَصَر من الميل إلى الميل، وكلّ ثلاثة أميال منها فَرْسَخٌ.
(٩) ق: ص ٣٩.
(١٠) ق: ص ٣٩.
(١١) ق: ص ٤٦٠.
(١٢) ح: ص ١٦٦.

والغلّات والفواكه الجيّدة... يقول: «... ومن حدّ دمشق بعلبكّ وهي مدينة على جبل وعامّة أبنيتها من حجارة وبها قصور من حجارة قد بُنِيَت على أساطين شاهقة وليس بأرض الشأم أبنية حجارة أعجب ولا أكبر منها، وهي مدينة كثيرة الخير والغلّات والفواكه الجيّدة بَيْنَهَ الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي قُرضتها[1] وساحلها وبها يرابط أهل دمشق وسائر جندها وينفرون إليهم عند [٥٢ب] استنفارهم وليسوا كأهل دمشق في جفاء[2] الأخلاق وغِلَظ الطباع وفيهم مَن إذا دُعِيَ إلى الخير أجاب وأصغى وإذا أيقظه الداعي أناب...»[3].

وفي مكان آخر يذكر ابن حوقل كذلك المسافة بين دمشق وبعلبكّ فيقول: «... وأمّا جند دمشق فدمشق قصبتها وزمنها إلى بعلبكّ [يومان...»[4].

لكنّ المقدسي يعطينا بعض المعلومات المحلّيّة عن المدينة وأهلها كما في قوله ليس «أشْرَبَ للخمور من أهل بعلبكّ...»[5]؛ وقوله: «مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب معدن الأعناب، وسائر مُدنها طيّبة رِحاب»[6]. ويذكر أنّه يُضرب بها المثل في البَرْد؛ فهو في معرض ذكر شؤون إقليم الشام يقول: «وأشدّ هذا الإقليم بردًا بعلبكّ وما حولها، ومن أمثالهم قيل للبرد أين تطلبك قال بالبلقاء، قال فإن لم نجدك قال بعلبكّ بيتي»[7]. وفي معرض ذكر تجارات الشام يقول «ومن بعلبكّ المَلابِن»[8]. كما يراها في موضع آخر مع مدينة تدمرّ «من العجائب»[9]. أمّا المسافات منها وإليها، فهي عنده بالمراحل؛ يقول: «... وتأخذ من حمص إلى جوسية مرحلة[10] ثمّ إلى يعاث مرحلة ثمّ إلى بعلبكّ نصف مرحلة ثمّ إلى الزبداني مرحلة ثمّ إلى دمشق مرحلة»[11].

---

(١) قُرْضَةُ البحرِ: مَحَطُّ السُّفُنِ.
(٢) جَفَأَ الشيءُ: صَلُبَ وخَشُنَ.
(٣) ح: ص ١٧٥.
(٤) ح: ص ١٨٧.
(٥) م: ص ٤٢.
(٦) م: ص ١٤٠.
(٧) م: ص ١٥٣.
(٨) م: ص ١٥٥.
(٩) م: ص ١٥٩.
(١٠) المرحلة هي المَنزِلة يُرتَحل منها، وما بين المَنزِلين مرحلةٌ.
(١١) م: ص ١٦٣.

بالمقابل، لا نجد ابن جبير يذكر بعلبكّ سوى مرّةٍ واحدة وذلك عند ذكر منبع نهر العاصي حيث يقول: «... ومنبعه في مغارة بصفح جبل نوقها بمرحلة بموضع يقابل بعلبكّ...»[1].

أمّا ياقوت، فتتنوّع عنده المعلومات: فهي «مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيّام...»[2]؛ ثمّ يذكر معلومات لغويّة من أنّ اسمها مركّب[3] وكيفيّة تصغيره وترخيمه والنسبة إليه[4]!

ويتنقل بعدها إلى ذكر متجاتها قائلًا: «وبعلبكّ دبسّ رجبٌ وزيتٌ ولبنٌ ليس في الدنيا مثلُها يُضرب بها المثل»[5]. ويذكرها كذلك في شعر لامرئ القيس[6] ويُخبر أنّها كانت مهر بلقيس، وبها قصر سليمان بن داود... وبها قبر يقولون إنّه قبر حفصة بنت عُمر زوجة النبيّ... والصحيح أنّه قبر حفصة أخت معاذ بن جبل... وبها قبر الياس النبيّ... وبقلعتها مقام إبراهيم الخليل... وبها قبر أسباط[7].

ثمّ يذكر فتحها سنة أربع عشرة على يد أبي عبيدة، قائلًا: «ولمّا فرغ أبو عبيدة من فتح دمشق في سنة أربعّ عشرة، سار إلى حمص فمرّ ببعلبكّ فطلب أهلها إليه الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتابًا أجّلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى فمَن جلا سار إلى حيث شاء ومَن أقام فعليه الجزية»[8].

ولم يَفُتْهُ أن «... قد نُسِبَ إلى بعلبكّ جماعة من أهل العِلم...»[9].

أمّا أبو الفداء، فإنّه لم يذكر اسم بعلبكّ إلّا مرّة عند تحديده موقع عينِ الجَرّ بقوله: «... وهي عن بعلبك في جهة الجنوب على مرحلة قويّة...»[10].

---

(١) ج: ص ٢٣٦.
(٢) يا: ج١، ص ٤٥٣.
(٣) يا: ج١، ص ٤٥٣.
(٤) يا: ج١، ص ٤٥٤.
(٥) يا: ج١، ص ٤٥٤.
(٦) يا: المرجع نفسه.
(٧) يا: المرجع نفسه.
(٨) يا: المرجع نفسه.
(٩) يا: المرجع نفسه.
(١٠) يف: ص ٢٣٠.

إلّا أنّنا نقع على نصّ عند ابن بطّوطة، يعطينا بعض المعلومات الحضاريّة حول بعلبكّ فيها شيء من التفصيل والجديد، وإن كان وصفُه لها لا يخرج عن المألوف كقوله: «ثمّ وصلنا من جبل لبنان إلى مدينة بعلبك، وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام، تُحدق بها البساتين الشريفة والجنّات المُنيفة، وتخترق أرضَها الأنهارُ الجاريةُ، وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية»[1].

أمّا جديده فهو ذِكر «حَبّ الملوك» فيها ممّا «ليس في سواها»[2]، و«النبيذ المشروب إليها، وهو نوع من الرُّبّ يصنعونه من العنب... وتُصنَع منه الحلواء ويُجعل فيه الفستق واللوز ويسمّونها حلواء بالمَلبَن، ويسمّونها أيضًا بجِلْدِ الفَرَس»[3]. كما يرى أنّ بعلبكّ «كثيرة الألبان، وتُجلب منها إلى دمشق»[4]. أمّا المسافة بينها وبين دمشق فهي «مسيرةُ يومٍ للمُجِدّ»[5].

كذلك يطالعنا هذا النصّ أنّه «يُصنع ببعلبك الثياب المنسوبة إليها من الإحرام وغيره»[6] كما «يُصنع بها أواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد»[7] واسم الصِّحاف عندهم «دُسوت»[8]. ويذكر ابن بطّوطة أنّهم يصنعون صِحافًا عشرًا تَسَعُ الواحدة في جوف الأخرى حتّى «يُخيَّل لرائيها أنّها صَحْفة واحدة»[9]. «وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرًا، واحدة في جوف واحدة، ويصنعون لها غشاءً من جلد ويمسكها الرجل في حزامه، وإذا حضر طعامًا مع أصحابه أخرج ذلك، فيظنّ رائيه أنّها ملعقة واحدة، ثمّ يُخرج من جوفها تسعًا»[10].

البِقاع

ذكره اليعقوبي على طريق البريد فقال: «ومَن سلك من حمص على

---

(١) ب: ص ٨٣.
(٢) ب: ص ٨٣.
(٣) ب: ص ٨٣.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) المرجع نفسه.
(٨) المرجع نفسه.
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) ب: ص ٨٣-٨٤.

طريق البريد أخذ من جرية إلى البقاع ثمّ إلى مدينة بعلبك...»[1].

وذكر اسمه فقط ابن خرداذبه[2] في تعداده كورة دمشق وأقاليمها.

وذكره قدامة بن جعفر طريقًا بين حمص ودمشق، قال: «ومن حمص أيضًا إلى دمشق على طريق البقاع:...»[3]، ثمّ راح يذكر القرى على الطريق والمسافة بينها.

كذلك ورد ذكره عند ابن الفقيه، نقلًا عن المدائني، على أنّه من كُوَر دمشق[4].

أمّا المقدسي فإنّه يذكره على أنّه أحد الرساتيق الستّ لدمشق[5]، وأحد بُلدان «الصقع الثاني» من إقليم الشام[6]؛ كما يذكره عند قوله: «وناحية البقاع مدينتها: بعلبك...»[7].

ويذكر ابن جبير كذلك البقاع في معرض وصفه قَبرَي شيث ونوح، قال:

«ومن المشاهد الكريمة التي لم نعاينها ووُصفت لنا قبرا شيث ونوح، عليهما السلام، وهما بالبقاع، وهي على يومين من البلد. وحدّثنا مَن ذَرَعَ قبر شيث فألفى فيه أربعين باعًا[8]، وفي قبر نوح ثلاثين. وبإزاء قبر نوح قبر ابنة له. وعلى هذه القبور بناء، ولها أوقاف كثيرة، ولها قيّم يلتزمها»[9].

أمّا ياقوت فقد أفرد له مدخلًا خاصًا به في معجمه، وممّا جاء فيه: «يُقال له بِقاع كَلْب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة، وأكثر شرب هذه القِباع من عين تخرج من جبل، يُقال لهذه العين: عين الجرّ، وبالبقاع هذه قبر الياس النبيّ...»[10].

---

(١) ي: ص ٣٢٥.
(٢) خ: ص ٧٤.
(٣) ق: ص ٣٩.
(٤) ف: ص ١٠٥.
(٥) م: ص ١٣٦.
(٦) م: ص ١٦٠.
(٧) م: ص ١٣٦.
(٨) الباعُ: مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما.
(٩) ج: ص ٢٥٣.
(١٠) يا: ج١، ص ٤٧٠.

كما يذكره في مدخل «دمشق» بقوله:

«وأنّ ركوبه [أي نوح] في السفينة كان من عين الجرّ من ناحية البقاع»[1].

وللبقاع عند أبي الفداء ذِكرٌ عابرٌ في قوله:

«... وينبع من عين الجرّ نهر كبير ويجري إلى البقاع...»[2].

أمّا ابن بطّوطة فقد ذكره مرّةً وأسماه «بقاع العزيز» حيث قال: «وقصدْنا منها [أي بيروت] زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنّه من ملوك المغرب وهو بموضع يُعرف بكرك نوح من بقاع العزيز...»[3].

بَيْروت

ذكرها أوّلًا اليعقوبي خلال تعداده جند دمشق، فقال: «... وجبيل وصيدا وبيروت وأهل هذه الكُوَر كلّها قوم من الفُرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان...»[4].

وذكر ابن خرداذبه اسمها فقط عند تعداده كورة دمشق وأقاليمها[5]، وكذلك في ذكر كورة فلسطين[6].

وفعل قدامة بن جعفر مثله حين ذكر اسمها فقط عند تعداده سواحل جند دمشق[7].

ولم يخرج ابن الفقيه عن المعلومات التي ذُكرت قبله، بل ذكر اسمها فقط عند تعداده السواحل الستّة لدمشق[8].

أمّا ابن حوقل فإنّه يذكر اسمها على خريطة «صورة الشأم»[9]، كما يذكرها في تحديد موقع بعلبكّ فيقول: «... وهي [أي بعلبك] قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم...»[10]. وهو كذلك يعطينا بعض المعلومات الجديدة حيث يقول: «... وبيروت هذه كان مقام الأوزاعي وبها من النخيل وقصب السكّر والغلّات المتوافرة وتجارات البحر عليها دارّة واردة

---

(١) يا: ج٢، ص ٤٦٤، دمشق.
(٢) بش: ص ٢٣٠.
(٣) ب: ص ٦٣.
(٤) ي: ص ٣٢٧.
(٥) خ: ص ٧٤.
(٦) خ: ص ٨٩.
(٧) ق: ص ٧٤.
(٨) ف: ص ١٠٥.
(٩) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(١٠) ح: ص ١٧٥.

وصادرة وهي مع حصنها حصينة منيعة السور جيّدة الأهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامّة أمورهم»[1].

كما ذكر المسافات بينها وبين بعض المدن الأخرى كقوله:

«من دمشق إلى بيروت على بحر الروم مسيرة يومين غربًا»[2].

وقوله:

«... ومنها إلى بعلبك يومان ومنها إلى بيروت [يومان ومن بيروت] إلى أطرابلس يومان ومن بيروت إلى صيداء يومان...»[3].

مع المقدسي تتنوّع المعلومات وإن كانت مقتضبة. فهو يحدِّد موقعها فيقول في ذكر الإقليم الثالث: «... وبيروت في حدّه الأدنى الذي يلي الشام»[4]. كما يذكرها من مُدن القصبة[5] دمشق[6].

ثمّ يذكرها حصينةً مع صيدا، فيقول: «وصيدا وبيروت. مدينتان على الساحل حصينتان»[7].

ويذكر معادن الحديد في جبالها: «وبه [أي إقليم الشام] معادن حديد في جبال بيروت»[8].

وينتقل لاحقًا إلى ذكر المسافات حيث نقرأ:

«وتأخذ من دمشق إلى طرابلس أو إلى بيروت أو... يومين يومين»[9].

وكذلك: «وتأخذ من بيروت إلى صيدا أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة»[10].

مع ياقوت، المعلومات عامّة، حيث يعرّفها بقوله:

«مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعَدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ[11]...»[12].

---

(١) ح: ص ١٧٦.
(٢) ح: ص ١٨٦.
(٣) ح: ص ١٨٧.
(٤) م: ص ٦٨.
(٥) قصبةُ البلد: مدينته؛ وقيل معظمه. وقصبةُ الـرّاد: مدينتها. والقصبة: جوفُ الحصن، يُبنى فيه بناء هو أوسطه. وقصبة البلاد: وَسَطُها. والقصبة القرية وقصبةُ القرية: وسطها.
(٦) م: ص ١٣٦.
(٧) م: ص ١٤٠.
(٨) م: ص ١٥٨.
(٩) م: ص ١٦٣.
(١٠) م: ص ١٦٣.
(١١) الفَرْسَخُ: ثلاثة أميالٍ أو ستّةٌ.
(١٢) يا: ج١، ٥٢٥.

ثمّ يذكرها في قصيدة للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان[1]، ويذكر أنّه «... قد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية»[2].

أمّا ابن بطّوطة فلم يذكرها إلّا مرّةً عند قوله:

«ثمّ سرنا إلى مدينة بيروت، وهي صغيرة حسنة الأسواق، وجامعُها بديع الحُسن، ويُجلب منها إلى ديارِ مصرَ الفواكهُ والحديدُ»[3].

تِبْنين

ذكرها ابن جبير في نصٍّ استغرق صفحةً كاملة[4] من كتاب رحلته، فأخبر عن وعورة الوصول إليها، وأنّها «حصنٌ كبير من حصون الإفرنج... وهو موضع تمكيس القوافل...»[5] وأنّه بات أسفلَ ذلك الحصن وأنّ تمكيس الناس غير مُستقصى «والضريبة فيه دينار وقيراط من الدنانير الصوريّة على الرأس، ولا اعتراض على التجّار فيه لأنّهم يقصدون موضع الملك الملعون، وهو محلّ التعشير، والضريبة فيه قيراط من الدينار، والدينار أربعة وعشرون قيراطًا.

وأكثر المعترضين على هذا المكس المغاربةُ...»[6].

ويقول في الصفحة عينها: «ورحلنا من تبنين... وطريقنا كلّه على ضياعٍ متّصلة وعمائر منتظمة، سكّانها كلّها مسلمون...»[7].

ويركّز في مكان آخر على وعورة طريقها، فيقول:

«ويُقصَد بقوافل البغال على تبنين لوعورتها وقصد[8] طريقُها...»[9].

أمّا ياقوت فإنّ كلّ ما يورده هو أنّها «بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور»[10].

تَلُّ السُّلطان

«موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل، وهو

(١) يا: المرجع نفسه.
(٢) يا: المرجع نفسه.
(٣) ب: ص ٦٢.
(٤) ج: ص ٢٧٤.
(٥) ج: المرجع نفسه.
(٦) ج: المرجع نفسه.
(٧) ج: المرجع نفسه.
(٨) القَصْدُ: الكَسْرُ في أيّ وجهٍ كان.
(٩) ج: ص ٢٨٢.
(١٠) يا: ج٢، ص ١٤.

المعروف بالفُنَيْدَق...»[1].

جُبَّةُ

«... والجُبَّة أيضًا، قال أبو بكر بن نُقطةَ: قال لي محمّد بن عبد الواحد المقدسي إنّها قرية من أعمال طرابلس الشام»[2].

جَبَلُ الثَّلج

يبدأ قدامة بن جعفر البابَ الرابع في الجبال بقوله:

«وأمّا الإقليم الرابع ففيه أربعة وعشرون جبلًا منها جبل الثلج بدمشق وطوله ثلاثة وثمانون ميلًا...»[3].

أمّا المقدسي فهو يقول في وصف مدينة بانياس:

«لهم نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج...»[4].

جَبَل عامِلة

لم يرد ذكره إلّا عند أبي الفداء حيث قال:

«ومن الأماكن المشهورة بالشام جبل عاملة وهو ممتدّ من شرقيّ الساحل وجنوبيه حتى يقرب من صور...»[5].

جُبَيْل

ورد ذكرها أوّلًا عند اليعقوبي في خلال تعداده جند دمشق، حيث قال:

«... وجبيل وصيدا وبيروت، وأهل هذه الكُوَر كلّها قوم من الفُرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان...»[6].

وذكر ابن خرداذبه اسمها فقط عند تعداده كورة دمشق وأقاليمها[7].

وفعل قدامة بن جعفر مثله حين ذكر اسمها فقط عند تعداده سواحل

---

(١) يا: ج٢، ص ٤٢.
(٢) يا: ج٢، ص ١٠٩.
ونرجّح أنّها حَدّث الجبّة.
(٣) ق: ص ٥١.
(٤) م: ص ١٤٠.
(٥) بف: ص ٢٢٨.
(٦) ي: ص ٣٢٧.
(٧) خ: ص ٧٤.

جُند الشام[1].

وذكر اسمها كذلك ابن الفقيه، نقلًا عن المدائنيّ، على أنّها من كُوَرِ دمشق[2].

وجاء اسمها أيضًا على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[3].

وكلّ ما قاله المقدسي: «وجبيل على ساحل دمشق»[4]!

أمّا ياقوت، فإنّ أهمّ ما يذكره ما يلي:

«... بلد في سواحل دمشق... وهو بلد مشهور في شرقيّ بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت من فتوح يزيد بن أبي سفيان... ولم تزل بأيدي الأفرنج إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيّوب فيما فتحه من الساحل في سنة ٥٨٣، ورتّب فيها قومًا من الأكراد لحفظها، فبقيت على ذلك إلى سنة ٥٩٣، فباعها الأكراد الذين كانوا بها وانصرفوا عنها إلى حيث لا يُعلم، فهي إلى الآن بأيدي الأفرنج...»[5].

جَرْمَق

«... ووادي الجرمق من أعمال صيداء، وهو كثير الأُترج والليمون؛ قال الحافظ أبو القاسم: قُتل في وادي الجرمق عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن جميع الغساني أخو أبي الحسن بعد سنة ٤٥٠»[6].

جِنْثاءُ

«... صقعٌ بين دمشق وبعلبكّ بالشام»[7].

جونيه

ذكر اسمها ابن خرداذبه في خلال تعداده كورة دمشق وأقاليمها[8].

وجاء اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[9].

---

(١) ق: ص ٧٤.
(٢) ف: ص ١٠٥.
(٣) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٤) م: ص ٣٧.
(٥) يا: ج٢، ص ١٠٩، الجُبَيْل.
(٦) يا: ج٢، ص ١٢٩.
(٧) يا: ج٢، ص ١٦٨.
(٨) خ: ص ٧٤.
(٩) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.

وذكرها ياقوت بالتاء المربوطة المنقوطة، وقال فيها:
«جوبَةٌ من أعمال طرابلس من ساحل دمشق...»[1]، ثمّ راح يسرد مَن حدّث بِها[2].

الجِبّه

ورد اسمها فقط على خريطة «صورة الشأم عند ابن حوقل»[3].

خُرَيبة الغار

قال ياقوت: «... وخُرَيبةُ الغار: حصن بساحل بحر الشام»[4].

خِيارَةُ

«قرية قرب طبريّة من جهة عكّا قرب حِطّينَ بها قبر شعيب النبيّ...»[5].

دوبانُ

عرّفها ياقوت بقوله:
«قرية بجبل عاملة بالشام قرب صور...»[6]

ديرُ ميماسَ

قال عنه ياقوت: «بين دمشق وحمص على نهر يُقال له ميماس، وإليه نُسب، وهو في موضع نزه، وبه شاهد على زعمهم من حواريّي عيسى...»[7].

---

(١) يا: ج٢، ص ١٨٩.
(٢) يا: ج٢، ص ١٨٩-١٩٠.
(٣) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٤) يا: ج٢، ص ٣٦٤، خربة.
وهذا التعريف ليس كافيًا برأينا للجزم بأنّ هذا الحصن في لبنان، مع العلم أنّه في قضاء صور يوجد «مزرعة خربة».
(٥) يا: ج٢، ص ٤٠٩. وهي قرية في قضاء جبّ جنّين.
(٦) يا: ج٢، ص ٤٨٠.
وهذا التعريف غير كاف لتحديد هذه القرية اليوم. كما أنّ اسمها لا ينطبق على قرية لبنانيّة اليوم. فهل تكون «دبّين» مثلًا في قضاء مرجعيون؟
(٧) يا: ج٢، ص ٥٣٨.
برأينا، قد يكون الاسم تسمية قديمة لدير مار مارون، جنوبي الهرمل، لأنّه ورد في مادة الأُرْنُد عند ياقوت ج١ ص ١٦٣: «إسم لنهر أنطاكية، وهو نهر الرُّسْتَن المعروف بالعاصي، يقال له في أوّله الميماس...». ومعلوم اليوم أنّ دير مار مارون هو على نهر العاصي، في أوّله.

سَنِيرٌ

«... جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير، وهو الجبل الذي فيه المناخ يمتدّ مغربًا إلى بعلبك... ويتّصل بلبنان متيامنًا... وسنير الذي ذُكر أنّه بين حمص وبعلبك شعبة منه إلّا أنّه انفرد بهذا الاسم...»[1].

شَقِيفُ أَرْنُونَ

قال عنه ياقوت: «... والشقيف كالكهف أُضيف إلى أرنون اسم رجل إمّا روميّ وإمّا أفرنجيّ: وهو قلعة حصينة جدًّا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل»[2].

وذكره أبو الفداء حين قال: «ومن الأماكن المشهورة بالشام جبل عاملة وهو ممتدّ شرقيّ الساحل وجنوبيه حتّى يقربُ من صور وعليه الشقيف الذي استرجعه الملك الظاهر بيبرس من أيدي الأفرنج...»[3].

شَقِيفُ تِيرُونَ

ذكره ياقوت مباشرة بعد «شقيف أرنون» وقال عنه: «... حاله حال الذي قبله في التسمية والإضافة: وهو أيضًا حصنٌ وثيق بالقرب من صور»[4].

الصَّرَفَنْد

ذكر قدامة بن جعفر «حصن الصرفند» في تعداده سواحل جند دمشق[5].

وورد الاسم فقط «صرفنده» بالهاء المهملة على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[6].

وجاء الاسم عند ياقوت بالتاء المنقوطة المربوطة «صَرَفَنْدَةُ» وعرّفه كما يلي:

«قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام...»[7].

---

(١) يا: ج٣، ص ٢٦٩.
(٢) يا: ج٣، ص ٣٥٦.
(٣) بف: ص ٢٢٨.
(٤) يا: ج٣، ص ٣٥٦.
(٥) ق: ص ٧٤.
(٦) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٧) يا: ج٣، ص ٤٠٢.

وفي خبر أورده ياقوت عن أبي عبدالله الأنصاريّ الصرفنديّ، قال: «كتب عنه أبو الحسين الرازي بدمشق وقال: كان من أهل صرفنند، حصن بين صور وصيداء على الساحل...»[1].

صور

ورد ذكر صور أوّلًا عند اليعقوبي حيث قال:

«... ولجند الأردنّ من الكور صور وهي مدينة السواحل وبها دار الصناعة ومنها مخرج مراكب السلطان لغزو الروم وهي حصينة جليلة وأهلها أخلاط من الناس...»[2].

وذكر ابن خرداذبه «كورة صور» عند تعداده لكورة الأردنّ[3] كما ذكر الاسم فقط في ذكره كورة فلسطين[4].

وذكرها قدامة بن جعفر بقوله:

«نرجع إلى الطريق العادلة من طبريّة إلى صور: من طبريّة إلى صور سبع سكك[5]»[6]. كما يعطينا تفصيلًا آخر حين يقول:

«وسواحل جند الأردنّ صور وعكا وبصور صناعة المراكب»[7].

وذكرها ابن الفقيه من السواحل الستّة لدمشق[8]، كما ذكر «كورة صور» من كُوَر الأردنّ[9]. وجاء عنده كذلك:

«ثمّ قال أبو حمران... ولنا المدن العجيبة والكور الشريفة مثل طرسوس والمَصّيصة... وحلب وصور وصيدا وطبريّة...»[10].

كذلك ورد اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[11]. وجاء عنده أيضًا: «ومدينة صور من أحصن الحصون التي على شطّ البحر عامرة خصبة ويُقال إنّه أقدم بلد بالساحل وأنّ عامّة حكماء اليونانيّة منها»[12].

---

(١) يا: المرجع نفسه.
(٢) ي: ص ٣٢٧.
(٣) خ: ص ٧٥.
(٤) خ: ص ٨٩.
(٥) السِّكَّةُ: الطريق المُستوي، وبه سُمِّيَتْ سِكَكُ البَريد.
(٦) ق: ص ٤٧.
(٧) ق: ص ٧٤.
(٨) ف: ص ١٠٥.
(٩) ف: ص ١١٦.
(١٠) ف: ص ١٢٣.
(١١) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(١٢) ح: ص ١٧٤.

ثمّ يذكر لنا المسافة بين طبريّة وصور مرّتين، مرّةً في قوله:

«ومن طبريّة إلى صور التي على البحر غربًا مرحلة...»[1]؛ وأخرى في قوله: «وقصبة الأردنّ طبريةُ ومنها إلى صور يوم...»[2].

من جهة أخرى، ذكرها المقدسي من مُدن قصبة طبريّة[3]، وقال في موضع آخر: «وقد كان [أي ابن طيلون] رأى صور ومنعتها واستدارة الحائط على مبانيها، فأحبّ أن يتّخذ لعكّا مثل ذلك البناء»[4]. ثمّ أورد معلومات متنوّعة كقوله:

«صور: مدينة حصينة على البحر... تدخل فيه المراكب كلّ ليلة.ثم تُجَرّ السلسلة... ولهم ماء يدخل في قناة معلّقة، وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع ولهم خصائص»[5].

وقوله: «... ومن صور السكّر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات»[6].

وذكره «تفيز صور»[7] عند ذكره المكاييل. والطريف أنّنا نجد معلومةً طبّيّة فريدةً من نوعها في قوله «وماء صور يَحصر»[8].

كما يقول في مواضع أخرى:

«وبازاء صور تقع جزيرة قبرص»[9]، «وميناء صور وعكّا من العجائب»[10]، «... وجبل صدّيقا بين صور وقَدَس وبانياس وصيدا...»[11].

وهو كذلك يشبّه بها الحصون كما في قوله في إقليم الرحاب:

«ومن العجائب الباب وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكّا بسلسلة...»[12].

---

(١) ح: ص ١٨٦.
(٢) ح: ص ١٨٦-١٨٧.
(٣) م: ص ١٣٦.
(٤) م: ص ١٤٢.
(٥) م: ص ١٤٢.
(٦) م: ص ١٥٤-١٥٥.
(٧) م: ص ١٥٦.
(٨) م: ص ١٥٨. والمقصود أنّه يحصر خروج البول من الجسم.
(٩) م: ص ١٥٩.
(١٠) م: ص ١٦٠.
(١١) م: ص ١٦٢.
(١٢) م: ص ٢٩٢.

أمّا ابن جبير الذي زارها وأقام فيها، فإنّه أفرد لها صفحتين وصفها فيهما فقال:

«مدينة يُضرَب بها المثل في الحصانة، لا تُلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة، قد أعدّها الإفرنج مَنْزَعًا لحادثة زمانهم، وجعلوها مَثابَة لأمانهم، هي أنظف من عكة سككًا وشوارع، وأهلها ألْين في الكفر طبائع، وأجْرَى إلى برّ غرباء المسلمين شمائل ومنازع، فخلائقهم أسْجَحُ[1]، ومنازلهم أوسع وأفسح، وأحوال المسلمين بها أهون وأسكن، وعكة أكبر وأطفى وأكفر.

وأمّا حصانتها ومناعتها فأعجب ما يُحدَّث به، وذلك أنّها راجعة إلى بابين: أحدهما في البر، والآخر في البحر، وهو يحيط بها إلا من جهة واحدة، فالذي في البرّ يُفْضَى إليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة، كلّها في ستائر[2] مشيدة محيطة بالباب، وأمّا الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين إلى ميناء ليس في البلاد البحريّة أعجب وضعًا منها، يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجصّ. فالسفن تدخل تحت السور وترسو فيها، وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج، فلا مجال للمراكب إلّا عند إزالتها. وعلى ذلك الباب حُرّاس وأمناء، لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج إلّا على أعينهم، فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع، ولعكة مثلها في الوضع والصفة لكنّها لا تحمل السفن الكبار حملَ تلك وإنّما ترسو خارجها والمراكب الصغار تدخل إليها، فالصورية أكمل وأجمل وأحفل.

فكان مقامنا بها أحد عشر يومًا، دخلناها يوم الخميس وخرجنا منها يوم الأحد الثاني والعشرين لجمادى المذكورة، وهو آخر يوم من شتنبر، وذلك أنّ المركب الذي كنّا أملنا الركوب فيه استصغرناه فلم نَرَ الركوب فيه»[3].

ووصف كذلك عرسًا شاهده فيها، فروى ما يلي:

«ومن مشاهد زَخارف الدنيا المحدَّث بها زفاف عَرُوس شاهدناه بصُور في

---

(١) أسجح: ألطف.

(٢) ستائر: حيطان.

(٣) ج: ص ٢٧٧-٢٧٨.

أحد الأيام عند ميناثها، وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالًا ونساء، واصطفّوا بساطَيْن عند باب العَروس المُهْدَاة، والبرقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهويّة، حتّى خرجت تتبادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال، كأنّهما من ذوي أرحامها، وهي في أبهى زيّ، وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهّب سحبًا على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حُفَّت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لَبّتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حَلْيها وحُلَلها، تمشي فترًا في فِتْر مشيَ الحمامة أو سير الغمامة، نعوذ بالله من فتنة المناظر، وأمامها جِلّة رجالها من النصارى في أفخر ملابسهم البهيّة، تُسْحَب أذيالها خلفهم. ووراءها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيّات يتهادين في أنفس الملابس ويَرْفُلن في أرفل الحلى، والآلاتُ اللهويّة قد تقدّمتهم، والمسلمون وسائر النصارى من النظّار قد عادوا في طريقهم ساطين يتطلّعون فيهم ولا يُنكرُون عليهم ذلك، فساروا بها حتّى أدخلوها دارَ بعلها، وأقاموا يومهم ذلك في وليمة. فأدّانا الاتّفاق إلى رؤية هذا المنظر الزخْرُفيّ المستعاذ بالله من الفتنة فيه»[1].

ويُخبرنا في موضع آخر إقامته في صور فيقول:

«وكانت واحتنا مدّة مقامنا بصور بمسجد بقي بأيدي المسلمين. ولهم فيها مساجد أُخر. فأعلمنا به أحد أشياخ أهل صور من المسلمين أنّها أُخذت منهم سنة ثماني عشرة وخمس مئة...»[2].

وخبرٌ آخر فيه:

«... ضجّنا في طريقنا إلى عكّة من دمشق رجل مغربي... فكفر وتنصّر مدّة مقامنا بصور»[3].

وغالبًا ما يجمع بين صور وعكّة؛ فقد قال في وصفهما:

«وهاتان المدينتان، عكّة وصور، لا بساتين حولهما، وإنّما هما في بسيط من الأرض متّصل بسيف البحر، والفواكه تجلب إليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما، ولهما عِمالة متّسعة، والجبال التي تقرب منهما معمورة بالضياع. ومنها

---

(١) ج: ص ٢٧٨-٢٧٩.
(٢) ج: ص ٢٧٩.
(٣) ج: ص ٢٨١.

تُجبى الثمرات إليهما. وهما في غرّ البلاد. . . . ولصور عند بابها البرّيّ عين معيّنة يُنحدر إليها على أدراج. والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها. . .»[1].

وأخيرًا، قال عند ذكر مدينة ثرمة في جزيرة صقلية:

«وأبصرنا للنصارى في هذه الطريق كنائس معدّة لمرضى النصارى، ولهم في مدنهم مثل ذلك على صفة مارستانات المسلمين، وأبصرنا لهم بعكّة وصور مثل ذلك»[2].

أمّا ياقوت، فقد ورد عنده ذكر صور في أماكن مختلفة رغم إفراده لها مدخلًا خاصًّا بها. فهو يذكر «كورة صور» عند تعداده كُوَر الأردنّ[3]. كما قال في الموضع ذاته:

«. . . ولم تزل الصناعة[4] من الأردنّ بعكّا إلى أن نقلها هشام بن عبد الملك إلى صور، وبقيت على ذلك إلى صدر مديد من أيّام بني العباس، حتّى اختلف باختلاف المتغلبين على الثغور الشامية. . .»[5].

أمّا ما أورده تحت المدخل «صور» فأهمّه ما يلي:

«. . . مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمّة، كانت من ثغور المسلمين، وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكفّ على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلّا الرابع الذي منه شروع بابها، وهي حصينة جدًّا ركينة لا سبيل إليها إلّا بالخذلان. . . وهي معدودة من أعمال الأردن. . . وقد نسب إليها طائفة من العلماء. . .»[6].

ثمّ ترد عنده مرّة أخرى في مادّة «غزّة» حيث يقول:

«غزّة كانت امرأة صور الذي بنى صورَ مدينة الساحل قريبة من البحر. . .»[7].

إنّ المعلومات التي أوردها أبو الفداء ضئيلة بالنسبة إلى ما ذكره ابن جبير وياقوت، وغيرهما. فهو يذكرها مرّة بقوله:

---

(١) ج: ٢٨٣.
(٢) ج: ص ٣٠٣.
(٣) يا: ج١، ص ١٤٨، الأردنّ.
(٤) أي صناعة السُّفن.
(٥) يا: ج١، ص ١٤٨، الأردنّ.
(٦) يا: ج٣، ص ٤٣٣.
(٧) يا: ج٤، ص ٢٠٢، غزّة.

«ومن الأماكن المشهورة بالشام جبل عاملة وهو ممتدّ من شرقيّ الساحل وجنوبيه حتّى يقرب من صور...»[1]

ومرّةً أخرى بقوله:

«... ومن طبريّة إلى صور على البحر غربًا يومٌ...»[2].

أمّا ابن بطّوطة الذي زارها، فقد جاءت معلوماته أقلّ غزارة وتنوّعًا ممّا شهدنا مع ابن جبير. فهو يذكرها بقوله:

«ثمّ سافرتُ منها[3] إلى مدينة صور، وهي خراب وبخارجها قريةٌ معمورةٌ، وأكثرُ أهلها أرفاضٌ، ولقد نزلتُ بها مرّةً على بعض المياه أريدُ الوُضُوء، فأتى بعضُ أهل تلك القرية ليتوضّأ فبدأ بغسل رجليه ثمّ غسل وجهه، ولم يتمضمض ولا استنشق، ثمّ مسح بعضَ رأسه، فأخذتُ عليه في فعله، فقال لي: إنّ البناء إنّما يكون ابتداؤه من الأساس.

ومدينةُ صور هي التي يُضرَبُ بها المثل في الحصانة والمَنَعة لأنّ البحرَ مُحيط بها من ثلاث جهاتها، ولها بابان أحدهما للبرّ، والثاني للبحر، ولبابها الذي يُشرَعُ للبرّ أربعة فصلاتٍ كلّها في ستائرَ مُحيطة بالباب، وأمّا الباب الذي للبحر فهو بين بُرجين عظيمين.

وبناؤها ليس في بلاد الدنيا أعجبُ ولا أغربُ شأنًا منه لأنّ البحر مُحيطٌ بها من ثلاث جهاتها، وعلى الجهة الرابعة سورٌ، تدخل السفنُ تحت السور وترسو هنالك. وكان فيما تقدّم بين البرجين سلسلةُ حديدٍ معترضةٌ لا سبيل إلى الداخل هنالك ولا إلى الخارج إلا بعد حطّها، وكان عليها الحرّاسُ والأُمناء، فلا يدخلُ داخلٌ ولا يخرجُ خارجٌ إلّا على علم منهم.

وكان لعكّة أيضًا ميناء مثلها، ولكنّها لم تكن تحمل إلّا السفن الصغار»[4].

ويذكرها أخيرًا في قوله:

«ثمّ سرنا [من جزيرة مَصيرة في عمان] يومًا وليلة فوصلنا إلى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تُعرف بصور...»[5].

---

(١) بف: ص ٢٢٨.
(٢) بف: ص ٢٣٦.
(٣) أي من عكّة.
(٤) ب: ص ٦١-٦٢.
(٥) ب: ص ٢٦٩.

صيدا - صيداء

ذكرها اليعقوبي بقوله: «... ولبنان صيدا وبها قوم من قريش ومن اليمن...»[1].

وفي ذِكر جند دمشق قال: «... وجبيل وصيدا وبيروت وأهل هذه الكور كلّها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان...»[2].

وذكرها ابن خرداذبه مرّتين، مرّةً عند تعداده كورة دمشق وأقاليمها، حيث قال «... وكورة صيدا،...»[3]؛ ومرّةً في ذكر كورة فلسطين حيث ذكر اسمها[4].

وذكر قدامة بن جعفر اسمها فقط عند تعداده سواحل جند دمشق[5].

كما ذكرها ابن الفقيه من السواحل الستّة لدمشق[6]. وجاء عنده كذلك: «ثمّ قال أبو حمران... ولنا المدن العجيبة والكور الشريفة مثل طرسوس والمصّيصة وملطية... وحلب وصور وصيدا...»[7].

وورد اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[8]؛ كما ذكر ابن حوقل أنّ المسافة «... من بيروت إلى صيداء يومان...»[9].

والمعلومات حولها عند المقدسي منوّعة ولكن غير كافية. فهو يذكر في مكانٍ أن «ولا أوحش من لسان صيدا»[10]! ويذكرها في مكان آخر من مُدن القصبة دمشق[11]. وفي آخر يذكر مع بيروت فيقول: «وصيدا وبيروت. مدينتان على الساحل حصينتان»[12]. كما يقول في تحديد موقع جبل صنّيقا: «وجبل صنّيقا بين صور وقَدَس وبانياس وصيدا...»[13]. وفي تحديد المسافات يقول: «وتأخذ من دمشق إلى طرابلس أو إلى بيروت أو إلى صيدا أو إلى بانياس أو إلى الحوران أو إلى البثنيّة يومين يومين»[14].

---

(١) ي: ص ٣٢٧.
(٢) ي: ص ٣٢٧.
(٣) خ: ص ٧٤.
(٤) خ: ص ٨٩.
(٥) ق: ٧٤.
(٦) ف: ص ١٠٥.
(٧) ف: ص ١٢٢-١٢٣.
(٨) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٩) ح: ص ١٨٧.
(١٠) م: ص ٤٢.
(١١) م: ص ١٣٦.
(١٢) م: ص ١٤٠.
(١٣) م: ص ١٦٢.
(١٤) م: ص ١٦٣.

وفي الصفحة عينها يقول: «وتأخذ من بيروت إلى صيدا أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة»[1].

أمّا أهمّ المعلومات التي يوردها ياقوت فهي:

«بالفتح ثمّ السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه... هي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستّة فراسخ، قالوا: سمّيت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح...»[2].

وقال:

«... ومرّ أبو الحسن علي بن محمّد بن الساعاتي بنواحي صيداء وهي بيد الأفرنج فرأى مروجًا كثيرة نباتها النرجس، واتّفق أنّه هرب بعض الأسارى من صيداء فأرسلت الخيل وراءه فردّته...»[3].

ثمّ يذكر اشتقاق اسمها من الصَّيد ويذكر النسبة إليها[4].

كما يقول:

«ومن أسمائها إربل بلفظ إربل الموصل...»[5].

وكذلك:

«والصيداء بساحل الشام تعرف بصيداء الصور...»[6].

أمّا أبو الفداء فإنّه لا يذكرها إلّا في قوله:

«وعين الجرّ المذكورة في ترجمة صيدا...»[7].

ويذكر ابن بطّوطة سفره من صور إلى صيدا، فيقول:

«ثمّ سافرت منها إلى مدينة صيدا، وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يُحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر، ونزلت عند قاضيها كمال الدين الأشموني المصريّ وهو حسن الأخلاق كريم النفس. ثمّ سافرت منها إلى مدينة طبريّة»[8].

---

(١) م: ص ١٦٣.
(٢) يا: ج٣، ص ٤٣٧.
(٣) يا: المرجع نفسه.
(٤) يا: المرجع نفسه.
(٥) يا: المرجع نفسه.
(٦) يا: ج٣، ص ٤٣٨.
(٧) بف: ص ٢٣٠.
(٨) ب: ص ٦٢.

طرابلس

ذكرها اليعقوبي بقوله:

«... ومدينة أطرابلس وأهلها قوم من الفرس كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب»[1].

وذكر ابن خرداذبه «كورة طرابلس» في تعداده كورة دمشق وأقاليمها[2]. كما ورد اسمها في ذكر كورة فلسطين حيث قال: «... ثمّ إلى جَبَلة ثمّ إلى أطرابلس الشأميّة، ثمّ إلى بيروت ثمّ إلى صيدا ثمّ إلى صور...»[3].

وذكرها قدامة بن جعفر عند تعداده سواحل جند دمشق لينسب مدينة عرقة إليها[4].

كما ذكرها ابن الفقيه «... وأطرابلس...» من السواحل الستّة لدمشق[5].

وقد ورد اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[6]. وذُكرت في موضع آخر عنده حيث قال:

«والباقي من الشأم في أيدي المسلمين وحكمهم فيه نافذ وأمرهم فيه ماضٍ فهو ما كان على ساحل بحر الروم [من] حدّ أطرابلس وأنفه إلى نواحي يافا وعسقلان...»[7].

وذكرها المقدسي بقوله: «أطرابلس مدينة على ساحل دمشق»[8]. وذكرها كذلك من مدن القصبة دمشق[9]. كما يذكر في موضع آخر جلالها، فيقول:

«وصيدا وبيروت. مدينتان على الساحل حصينتان. وكذلك طرابلس إلّا أنّها أجلّ»[10].

ويقول في موضع آخر: «وتأخذ من دمشق إلى طرابلس أو إلى بيروت أو

---

(١) ي: ص ٣٢٧.
(٢) خ: ص ٧٤.
(٣) خ: ص ٨٩.
(٤) ق: ص ٧٤.
(٥) ف: ص ١٠٥.
(٦) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٧) ح: ص ١٨٨.
(٨) م: ص ٣٥.
(٩) م: ص ١٣٦.
(١٠) م: ص ١٤٠.

إلى صيدا أو إلى بانياس... يومين يومين»[1].

وكذلك: «وتأخذ من بيروت إلى صيدا أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة»[2].

ولم يذكرها ابن جبير إلّا مرّةً وحيدة حيث ذكر اسمها فقط ليقول: «القُويس... صاحِب طرابلس وطبريّة»[3].

أمّا ياقوت فقد قال: «أطرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقيّة وعكا؛ وزعم بعضهم أنّها بغير همز...»[4]. وقال: «... وقد خرج من أطرابلس هذه خلق من أهل العلم»[5].

وجاء عنده أنّ أنطرطوس «... من أعمال طرابلس مطلّة على البحر...»[6].

ولم يذكرها أبو الفداء بسوى قوله:

«... من دمشق إلى أطرابلس على بحر الروم يومان غربًا...»[7].

لُكنّ ابن بطّوطة يذكرها ويذكر أخبارًا متنوّعةً عنها، كقوله:

«ثمّ وصلتُ إلى مدينة طرابُلُسَ، وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضّخام، تخترقها الأنهارُ وتحفّها البساتينُ والأشجارُ، ويكنُفُها البحر بمرافقه العميمة والبرّ بخيراته المقيمة. ولها الأسواق العجيبة، والمسارح الخصيبة، والبحر على ميلين منها، وهي حديثة البناء.

وأمّا طرابلس القديمة فكانت على ضفّة البحر، وتملّكها الرّوم زمانًا، فلمّا استرجعها الملك الظاهر خربت، واتّخذت هذه الحديثة. وبهذهِ المدينة نحو أربعين من أمراء الأتراك، وأميرُها طيلان الحاجب المعروف بملك الأمراء، ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار السعادة، ومن عوائده أن يركب في كلّ يوم اثنين وخميس، ويركب معه الأمراء والعساكر، ويخرج إلى ظاهر المدينة، فإذا عاد إليها وقاربَ الوُصُول إلى منزله، ترجّل الأمراء ونزلوا عن دوابّهم، ومشوا بين يديه حتّى يدخلَ منزلَه، وينصرفون. وتضربُ الطبلخانة عند دار كلّ أمير منهم بعد صلاة المغرب من

---

(١) م: ص ١٦٣.
(٢) م: ص ١٦٣.
(٣) ج: ص ٢٨٢.
(٤) يا: ج١، ص ٢١٦.
(٥) يا: المرجع نفسه.
(٦) يا: ج١، ص ٢٧٠، أنطرطوس.
(٧) بف: ص ٢٣٦.

كلّ يوم، وتُوقد المشاعل.

وممّن كان بها من الأعلام كاتب السر بهاء الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء، معروف بالسخاء والكرم، وأخوه حسام الدين هو شيخ القدس الشريف، وقد ذكرناه، وأخوهما علاء الدين كاتب السر بدمشق.

ومنهم وكيل بيت المال قُوام الدين بن مَكين من أكابر الرجال، ومنهم قاضي قضاتها شمس الدين بن الشيب من أعلام علماء الشام.

وبهذه المدينة حمّاماتٌ حسان منها: حمّام القاضي القرمي، وحمّام سَنْدَمورَ. وكان سندمورُ أميرَ هذه المدينة؛ ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدّة على أهل الجنايات منها: أنّ امرأة شكت إليه أنّ أحد مماليكه الخواصّ تعدّى عليها في لبن كانت تبيعه فشربه، ولم تكن لها بيّنةٌ، فأمرَ به فوُسّط، فخرجَ اللّبنُ من مصرانه. وقد اتّفق مثلُ هذه الحكاية للعتريس أحد أمراء الملك النّاصر أيّامَ إمارته على عَيذاب؛ واتّفقَ مثلها للملك كبكَ سلطان تركستان.

ثمّ سافرتُ من طرابلس إلى حصن الأكراد...»[1].

وفي ذكر حكاية المهدي الكاذب قال: «وطُيِّرت الحمامُ إلى طرابلس، فأتى أمير الأمراء بعساكره»[2].

وكذلك في ذكر حكاية ابن المؤيّد الهجّاء يقول:

«كان باللاذقية رجلٌ يُعرفُ بابن المؤيّد هَجّاءً لا يَسْلَمُ أحدٌ من لسانه مُتّهمٌ في دينه مُستَخفّ، يتكلّمُ بالقبائح من الإلحاد. فعرضت له حاجة عند طيلان ملك الأمراء، فلم يَقضها له، فقصَدَ مصرَ وتَقوّلَ عليه أمورًا شنيعة، وعاد إلى اللاذقيّة، فكتبَ طيلان إلى القاضي جلال الدين أن يتحيّلَ في قتله بوجه شرعيّ، فدعاه القاضي إلى منزله وباحثَه، واستَخْرَجَ كامنَ إلحاده، فتكلّمَ بعظائم أيسرُها يوجبُ القتلَ، وقد أعَدّ القاضي الشهودَ خَلْفَ الحجاب، فكتبوا عَقدًا بمقاله، وثَبَتَ عندَ القاضي، وسُجن وأُعلم ملك الأمراء بقضيّته، ثمّ أُخرجَ من السجن وخُنقَ على بابه.

ثمّ لم يلبث ملك الأمراء طيلان أن عُزِلَ عن طرابلس ووليَها الحاجّ قرطيةُ،

---

(١) ب: ص ٦٤-٦٥.

(٢) ب: ص ٨٠.

من كبار الأمراء وممّن تقدّمت له فيها الولاية وبينه وبين طيلان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه إخوة ابن المؤيّد شاكين القاضي جلال الدين، فأمرّ به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيّد فأحضروا، وأمرّ بخنقهم، وأُخرجوا إلى ظاهر المدينة حيثُ يُخنَقُ الناس، وأُجلسَ كلّ واحدٍ منهم تحتَ مُخنَّقه، ونُزِعَتْ عمائمُهم»[1].

وقال في موضع آخر: «فوصلنا إلى مدينة غزّة، ثمّ إلى مدينة الخليل... ثمّ إلى مدينة عكّا، ثمّ إلى مدينة طرابلس...»[2].

عدلون

ذكرها قدامة بن جعفر في خلال تعداده سواحل جند دمشق حيث قال: «وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدلون...»[3].

عَذْنون

ورد اسمها في خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[4].

وعرّفها ياقوت بقوله: «... مدينة من أعمال صيداء من ساحل دمشق»[5].

عَرْجَموس - عَرْجموش

ذكرها المقدسي من مدن ناحية البقاع[6].

وذكرها أبو الفداء على الطريق بين بيروت وبعلبك مرورًا بممرّ مغيتة، وهي تبعد ٢٤ ميلًا عن بيروت[7].

وقال عنها ياقوت: «... قرية في بقاع بَعلبك يزعمون أنّ فيها قبرَ حَبْلَة بنت نوح...»[8].

وتساءل دُوسّو Dussaud عن هذه المدينة وقال إنّه لربّما حلّت زحلة

---

(١) ب: ص ٨١.
(٢) ب: ص ٢٨٣.
(٣) ق: ص ٧٤.
(٤) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٥) يا: ج٤، ص ٩٢.
(٦) م: ص ١٣٦.
(٧) بف: ص ٢٦.
(٨) يا: ج٤، ص ٩٩.

مكانها مع فارق جغرافيّ بسيط في الموقع[1].

عِرْقَة

ورد ذكرها عند اليعقوبي حيث قال:

«ولجند دمشق من الكور على الساحل كورة عِرقة ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس نقلة وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة»[2].

وذكرها قدامة بن جعفر من سواحل جند دمشق، فقال:

«وسواحل جند دمشق عِرْقة طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا...»[3].

وذكرها ابن الفقيه من السواحل الستّة لدمشق ولكنّه ذكرها بفتح العين فيها «عَرقة»[4].

ووردت عند ياقوت ضمن مادّة أنطرطوس حيث قال:

«... من أعمال طرابلس مطلّة على البحر في شرقي عِرقة...»[5].

وأفرد لها مدخلًا خاصًا بها كذلك، قال فيه:

«بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق، وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها؛ وقال أبو بكر الهمذاني: عرقة بلد من العواصم بين رَفَنِيَة وطرابلس...»[6].

عين الجَرّ

ذكرها قدامة بن جعفر على الطريق من بعلبك إلى طبريّة، قال:

«ومَن أخذ من بعلبك إلى طبرية على طريق الدارج فمن بعلبك إلى عين الجرّ عشرون ميلًا ومن عين الجرّ إلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر...»[7].

وذكرها ياقوت في موادّ مختلفة؛ فقال في المدخل «البقاع» وعند ذِكر القرى الكثيرة فيه... وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل، يُقال

---

(١) Dussaud: ص ٤١٢.
(٢) ي: ص ٣٢٧.
(٣) ق: ص ٧٤.
(٤) ق: ص ١٠٥.
(٥) يا: ج١، ص ٢٧٠، أنطرطوس.
(٦) يا: ج٤، ص ١٠٩.
(٧) ق: ص ٣٩.

لهذه العين: عين الجرّ...»[1].

وجاء في مادّة «الجرّ»:

«عين الجرّ: جبل بالشام من ناحية بعلبك»[2].

وجاء ضمن مادّة «دمشق» في خبر عن نوح:

«... وأنّ ركوبه في السفينة كان من عين الجرّ من ناحية البقاع»[3].

وحين أفرد لها مدخلًا خاصًّا بها، قال:

«موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق، يقولون إنّ نوحًا، عليه السلام، منه ركب في السفينة»[4].

أمّا أبو الفداء فقد قال فيها:

«وعين الجرّ المذكورة في ترجمة صيدا بها آثار عظيمة من الصخور وهي عن بعلبك من جهة الجنوب على مرحلة قويّة وبالقرب من عين الجرّ ضيعة تُعرف بالمجدل وهي على الطريق الآخذ من بعلبك على وادي التيم وينبع من عين الجرّ نهر كبير ويجري إلى البقاع والعين معروفة والجرّ بفتح الجيم وتشديد الراء المهملة...»[5].

العُيون

جاء عند قدامة بن جعفر: «... ومن قرعون إلى قرية يُقال لها العيون نمضي إلى كفرليلى عشرون ميلًا...»[6].

الغَرْزَلُ

قال ياقوت: «من قرى بقاع بعلبك كبيرة نزهة في لحف جبلها الغربيّ فيها الزبيب الجَرْزاني ويعمل بها الملَبَّنُ المسمّى بجِلْدِ الفَرَس وهو من خصائصها، وبها قوم يُعرفون ببني رجاء وهم رؤساؤها معروفون بالكرم وإقراء الضيوف والتجمّل الظاهر في الملبس والمأكل والمشرب والمَرْكَب»[7].

---

(١) يا: ج١، ص ٤٧٠، البقاع.
(٢) يا: ج٢، ص ١٢٤، الجرّ.
(٣) يا: ج٢، ص ٤٦٤، دمشق.
(٤) يا: ج٤، ص ١٧٧.
(٥) بف: ص ٢٣٠.
(٦) ق: ص ٣٩. وجاء في الهوامش تعليقًا على الاسم ما نقله «لعلّها مرجعيون».
(٧) يا: ج٤، ص ٢٤٩.

القرعون

ورد عند قدامة بن جعفر في ذكر الطريق من بعلبكّ إلى طبريّة:

«... فمن بعلبك إلى عين الجرّ عشرون ميلًا ومن عين الجرّ إلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ومن قرعون إلى قرية يُقال لها العيون تمضي إلى كفرليلى عشرون ميلًا...»[1].

قَلْعَةُ أبي الحَسَن

عرّفها ياقوت بقوله:

«قلعة عظيمة ساحليّة قرب « بداء بالشام...»[2].

القلمون

ورد ذكرها في خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[3].

كامِد

يذكر اسمها المقدسي من مدن ناحية البقاع[4].

كَرْكُ

ذكرها ياقوت فقال:

«... قرية في أصل جبل لبنان...

أمّا الكَرْكِيّ، بفتح الكاف وسكون الراء، فهو أحمد بن طارق بن بنان أبو الرضا الكركي، قال لي أبو طاهر إسماعيل بن الأنماطي الحافظ بدمشق: هو منسوب إلى قرية في أصل جبل لبنان يُقال لها الكَرْك، بسكون الراء، وليس هو من القلعة التي يُقال لها الكرَك، بفتح الراء...»[5].

كَرَك نوح

قال ياقوت في مادّة «كَرَكُ»، بفتح الراء:

---

(١) ق: ص ٣٩.
(٢) يا: ج٤، ص ٣٨٩.
(٣) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٤) م: ص ١٣٦.
(٥) يا: ج٤، ص ٤٥٢.

«. . . والكَرَك أيضًا تربة كبيرة قرب بعلبك بها قبر يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح، عليه السلام. . .»[1].

وأخبر ابنُ بطّوطة عن ذهابه من بيروت إليها، فقال:

«وقصدْنا منها[2] زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب وهو بموضع يُعرف بكرك نوح من بقاع العزيز. . .»[3].

كسروان

جاء في الحاشية عند أبي الفداء ما يلي:

«. . . ويتّصل بهم[4] إلى جهةِ وادي يعرفُ بوادي التيم جبل الدرزيّة ويعرف بجبل كسروان قال والكسروان أيضًا على شرعتهم[5]. . .»[6].

كفرليلى[7]

ذكرها قدامة بن جعفر في قوله:

«. . . ومن قرعون إلى قرية يُقال لها العيون تمضي إلى كفرليلى عشرون ميلًا ومن كفرليلى إلى طبرية خمسة عشر ميلًا وفي هذا الطريق جبّ يوسف عليه السلام»[8].

الكَلْبُ

جاء ذكر هذا النهر مرّتين عند ياقوت، مرّةً تحت المدخل «الكلب» وأخرى في المدخل «نهر الكلب». وقد جاء في كلٍّ من المدخلين ما يلي:

«هو نهر الكلب بين بيروت وصيداء من بلاد العواصم بالشام»[9].

«بين بيروت وصيداء من سواحل عواصم الشام»[10].

---

(١) يا: ج٤، ص ٤٥٣، كَرَك.
(٢) أي من بيروت.
(٣) ب: ص ٩٣.
(٤) الحديث عن قوم من الإباحيّة في جبل الخيط.
(٥) أي على شرعة الإباحيّة.
(٦) يف: ص ٢٢٩.
(٧) جاء في هوامش المعلّق على كتاب قدامة بن جعفر «لعلّها كفركلا».
(٨) ق: ص ٣٩.
(٩) يا: ج٤، ص ٤٧٥، الكلب.
(١٠) يا: ج٥، ص ٣٢٣. ويلفت انتباهنا في التعريفين عدم الدقّة في تحديد موقع النهر.

لُبْنان

ذكره اليعقوبيّ أوّلًا في قوله:

«... ولبنان صيدا وبها قوم من قريش ومن اليمن»[1].

وذكره ابن خرداذبه عند ذكره أقاليم حمص بقوله «وإقليم لبنان...»[2]. وقال أيضًا: «... ومن جبل لبنان كان مبتدأ سفينه[3]»[4].

كما ذكر «إقليم لبنان» في تعداده كورة دمشق وأقاليمها[5].

أمّا قدامة بن جعفر فإنّه لم يأتِ على ذكر لبنان إطلاقًا!

وجاء عند ابن الفقيه: «وبدمشق لبنان وهو الجبل الذي يكون عليه النُّبّاد والأبدال وعليه من كلّ الثمر والفواكه وفيه عيون كثيرة عذبة وهو متصل ببلاد الروم»[6].

وجاء عنده في موضع آخر: «قالوا ومن عجائبنا تفّاح لبنان وفيه أعجوبة وذلك أنّه يُحمل التفّاح من لبنان وهو تفّاح جبل عذي[7] لا طعم له ولا رائحة فإذا توسّط نهر البليخ فاحت رائحته»[8].

كما ورد عنده، وعلى لسان أبي حمران قول هذا الأخير: «...وجبل لبنان من جبالنا...»[9]. وجاء عنده أخيرًا: «... إنّ هذا الجبل جبل العَرْج الذي بين المدينة ومكّة يمضي إلى الشام ويتّصل بلبنان من حمص وسَنير من دمشق...»[10].

وورد الاسم عند ابن حوقل في «صورة الشأم»[11].

ثمّ جاء في إيضاح ما يوجد في صورة الشأم من رسوم ما يلي:

---

(١) ي: ص ٣٢٧.

(٢) خ: ص ٧٣.

(٣) أي سفينة نوح.

(٤) خ: ص ٧٣.

(٥) خ: ص ٧٤.

(٦) ف: ص ١١٢.

(٧) جاء في معجم لسان العرب مادّة «خ ذ ى» ما يلي: «العِذْيُ:... وليس العِذْي آسمًا لموضع ولكن العِذْي من الزروع والنخيل ما لا يُسقى إلاّ بماء السماء، وكذلك عذيُ الكلإ والنبات ما بَعُدَ من الريف وأَنْبَتَهُ ماءُ السماء».

(٨) ف: ص ١١٧.

(٩) ف: ص ١٢٣.

(١٠) ف: ص ٢٩٥.

(١١) ح: ص ١٦٥.

«وكُتب عند الجبل فيما يُسايت بانياس جبل لبنان وتقابله في البرّ مدينة دمشق»[1].

وجاء عنده كذلك: «فيُسمّى اللكام إلى أن يجاوز اللاذقيّة ثمّ يُسمّى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص ثمّ يسمّى جبل لبنان ثمّ يمتدّ إلى الشام»[2].

كما جاء في موضع آخر:

«... ولا يزال هذا الجبل يستمرّ... إلى أن وصلتُه إلى بيت المقدس من جبل لبنان»[3].

أمّا المقدسي فقد قال: «وصحبتُ عبّادَ جبلِ لبنان»[4]. ويذكر في موضع آخر اتّصال جبل عاملة به[5]. ويذكره مع الجبال الفاضلة فيقول: «وتقع الجبال الفاضلة مثل جبل زيتا وصدّيقا ولبنان واللكام في الصفّ الثاني»[6].

ويقول كذلك: «وأمّا جبل لبنان فهو متّصل بهذا الجبل[7] كثير الأشجار والثمار المباحة، وفيه عيون ضعيفة يتعبّد عندها أقوام قد بنوا لأنفسهم بيوتًا من القشّ، يأكلون من تلك المباحات، ويرتفقون بما يحملون منها إلى المدن من النعب النارسيّ والمرسين وغير ذلك وقد قلّوا به»[8].

كما يُشبِّه بعضَ الجبال بلبنان فيقول: «وأجبالٌ عامرة على نعت لبنان»[9]. ويقول في معرض ذكره إقليم الرحاب: «والخيز بدانق لبنان»[10].

وقد جاء ابن جبير على ذكر لبنان في مواضع مختلفة فنقرأ عنده: «ووراءها[11] جبل لبنان وهو سامي الارتفاع، ممتدّ الطول، يتّصل من البحر إلى البحر، وفي صفحته حصون للملاحدة الإسماعيليّة...»[12].

كما نقرأ في الصفحة عينها: «وجبل لبنان المذكور هو حدّ بين بلاد المسلمين والإفرنج، لأنّ وراءه أنطاكية واللاذقيّة وسواهما من بلادهم... وفي

---

(١) ح: ص ١٦٦.
(٢) ح: ص ١٦٨.
(٣) ح: ص ١٦٩-١٧٠.
(٤) م: ص ٥٠.
(٥) م: ص ١٤١.
(٦) م: ص ١٦٠.
(٧) أي جبل صدّيقا.
(٨) م: ص ١٦٢.
(٩) م: ص ٢٧٤.
(١٠) م: ص ٢٨٧.
(١١) أي بلاد المعرّة.
(١٢) ج: ص ٢٢٩.

صفح الجبل المذكور حصن يُعرف بحصن الأكراد...»[1].

وفي ذكره عجيبَ أَمْرِ المشارقة في دمشق نقرأ: «... وكلّ مَن وفّقه الله بهذه الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم إن أحبَّ ضيعةً من الضياع... ومتى سئم المقام خرج إلى ضيعة أخرى أو يصعد إلى جبل لبنان أو إلى جبل الجُوديّ فيلقى بها المُريدين المنقطعين إلى الله، عزّ وجلّ، فيقيم معهم ما شاء وينصرف إلى حيث شاء»[2].

ثمّ يذكر إحسان نصارى جبل لبنان إلى المسلمين فيقول:

«ومن العجب أنّ النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممّن انقطع إلى الله عزّ وجلّ فتجب مشاركتهم»[3].

كما يتابع بقوله: «وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا، فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطّردة والظلال الوارفة، وقلّما يخلو من النبتيل والزهادة»[4].

وقد ورد ذكر لبنان عند ياقوت في موضعين قبل أن يُفرد له مدخلًا خاصًّا به. فقد جاء عند في مادّة «دمشق»:

«... ومنشأ خشب السفينة[5] من جبل لبنان»[6].

واستعمل اسم لبنان قياسًا لِلَفْظِ اسمِ جبلٍ آخر هو سُمْنان فقال: «سُمْنان بِوَزْنِ لُبْنان جبلٌ»[7].

وقال في مادّة لبنان: «... وهو اسم جبل... منصرف، كذا قال الأزهري؛ ولبنان: جبل مُطِلّ على حمص يجيء من العرج الذي بين مكّة والمدينة حتّى يتّصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحَمْل، وما كان بالأردنّ فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان، ويتّصل بأنطاكية والعمّيقة فيُسمّى هناك اللكّام ثمّ يمتدّ إلى ملطية وسميساط وقاليقلا إلى بحر الخزَر فيُسمّى هناك القَبْق، وقيل: إنّ في هذا الجبل سبعين لسانًا لا يعرف كلّ قوم لسان الآخرين

---

(١) ج: ص ٢٢٩.
(٢) ج: ص ٢٥٩.
(٣) ج: ص ٢٥٩.
(٤) ج: ص ٢٦٠.
(٥) أي سفينة نوح.
(٦) يا: ج٢، ص ٤٦٤، دمشق.
(٧) يا: ج٣، ص ٢٥١، سُمنان.

إلّا بترجمان... وفيه من جميع الفواكه والزرع من غير أن يزرعها أحد، وفيه يكون الأبدال من الصالحين...»[1].

كما ذكره أبو الفداء حيث نقرأ في بعض الحواشي: «جبل لبنان والثلج فيه كثير وهو معروف بالصالحين والجبال الثلجة مشبكة به إلى جهة حمص وبينه وبين البحر جبل الخيط...»[2].

ونقرأ عنده كذلك: «ومن الأماكن المشهورة بالشام العواصم... وإقليم لبنان...»[3].

أمّا ابن بطّوطة فقد جاء على ذكر جبل لبنان إذ قال:

«وسافرتُ منه[4] إلى جبل لبنان، وهو من أخصب جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة، ولا يخلو من المنقطعين إلى الله تعالى والزهاد والصالحين، وهو شهير بذلك. ورأيت به جماعةً من الصالحين قد انقطعوا إلى الله تعالى ممّن لم يشتهر اسمه»[5].

ويذكر كذلك حكاية الصالحين اللبنانيّين وحمار الوحش، فيقول[6]:

«أخبرني بعض الصالحين الذين لقيتُهم به قال: كنّا بهذا الجبل مع جماعة من الفقراء أيّام البرد الشديد، فأوقدنا نارًا عظيمة، وأحدقنا بها. فقال بعض الحاضرين: يصلحُ لهذه النّار ما يُشوى فيها، فقال أحد الفقراء ممّن تزدريه الأعين ولا يعبأ به: إنّي كنتُ عند صلاة العصر بمتعبّد إبراهيم بن أدهم، فرأيتُ بمقربة منه حمارَ وَحْشٍ قد أحدقَ الثلجُ به من كلّ جانب، وأظنّه لا يَقدرُ على الحراك، فلو ذهبتم إليه لقدرتُمْ عليه، وشوّيتم لحمه في هذه النّار.

قال: فقمنا إليه خمسة رجال فلقيناه كما وُصِفَ لنا فقبضناه وأتينا به أصحابنا وذبحناه وشوّينا لحمَه في تلك النّار، وطلبنا الفقيرَ الذي نبّه عليه، فلم نجده ولا رفعنا له على أثر، فطال عجبنا منه».

---

(١) يا: ج٥، ص ١١.
(٢) يف: ص ٢٢٩.
(٣) يف: ص ٢٣٣.
(٤) أي الجبل الأقرع.
(٥) ب: ص ٨٢.
(٦) ب: ص ٨٢-٨٣.

كما يقول لاحقًا: «ثمّ وصلنا من جبل لبنان إلى مدينة بعلبك...»[1].

اللّبوه

ورد اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[2].

الماحوز

ورد الاسم على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل بين اسمَي جونيه وجبيل[3].

المَجدل

ذكرها أبو الفداء بقوله:

«وبالقرب من عين الجرّ ضيعة تُعرف بالمجدل وهي على الطريق الآخذ من بعلبك على وادي التيم...»[4].

مَرْجُ عُيونٍ

ذكرها ياقوت بقوله «بـواحل الشام»[5] ولم يذكر أيّ شيء آخر حولها على الإطلاق!

مَشْغَرى

عرّفها ياقوت بقوله: «قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع...»[6].

وعند ذكره أحد الذين يُنسَبون إليها قال: «... أصله من بيت لَهيا تعلّم بها ثمّ انتقل إلى مِشغرى قرية على سفح جبل لبنان فصار بها إمامَهم

---

(١) ب: ص ٨٣.
(٢) ح: ص ١٦٦.
(٣) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
عبثًا حاولنا الوصول إلى تحديد دلالة هذا الاسم.
(٤) بف: ص ٢٣٠.
(٥) يا: ج٥، ص ١٠١.
(٦) يا: ج٥، ص ١٣٤.

وخطيبهم...»[1].

المُنَيْطِرَة

قال عنها ياقوت: «حصن بالشام قريب من طرابلس»[2].

الناعمة

ورد اسمها على خريطة «صورة الشأم» عند ابن حوقل[3].

نَحْلَةُ

قال عنها ياقوت: «قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال؛ إياها عنى أبو الطيّب فيما أحسب بقوله:

ما مُقامي بدار نحلة إلّا كمقام المسيح بين اليهود»[4].

هُونين

ذكرها كلٌّ من ابن جبير وياقوت. فقد جاء عند الأوّل: «واجتزنا في طريقنا بين هونين وتبنين بوادٍ ملتفّ الشجر...»[5].

وجاء عند الثاني: «بلد في جبال عاملة مُطِلّ على نواحي مصر»[6].

وادي التيم

يذكره أبو الفداء في معرض حديثه عن قوم من الإباحيّة في جبل الخيط فيقول: «... ويتصل بهم إلى جهة وادي يعرف بوادي التيم جبل الدرزيّة ويعرف بجبل كسروان»[7].

---

(١) يا: المرجع نفسه.
(٢) يا: ج٥، ص ٢١٧.
(٣) ح: ص ١٦٥، ١٦٧.
(٤) يا: ج٥، ص ٢٧٥.
(٥) ج: ص ٢٧٤.
(٦) يا: ج٥، ص ٤٢٠.
(٧) بف: ص ٢٢٩.

كما ذكره في قوله: «... وبالقرب من عين الجرّ ضيعة تعرف بالمجدل وهي على الطريق الآخذ من بعلبك على وادي التيم...»[1].

وذكره ياقوت عند تعريفه «يبوس» بقوله عن هذا الأخير: «اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق»[2].

وَجْه الحَجَر

قال ياقوت «عقبة قرب جبيل على ساحل بحر الشام»[3].

يَبُوسُ

قال ياقوت: «اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق»[4].

يَعاث

ذكرها قدامة بن جعفر فقال: «... ومن جوسية إلى إيعاث عشرون ميلًا ومن إيعاث إلى بعلبك ثلاثة أميال...»[5].

وذكرها المقدسي في قوله: «وتأخذ من حمص إلى جوسية مرحلة ثمّ إلى يعاث مرحلة ثمّ إلى بعلبك نصف مرحلة...»[6].

يُونانُ

قال ياقوت «... ويونان أيضًا: من قرى بعلبك»[7].

---

(١) يف: ص ٢٣٠.
(٢) يا: ج٥، ص ٤٢٨، يبوس.
(٣) يا: ج٥، ص ٣٦٣.
(٤) يا: ج٥، ص ٤٢٨.
(٥) ق: ص ٣٩.
(٦) م: ص ١٦٣.
(٧) يا: ج٥، ص ٤٥٣. ولعلّها يونين.

خلاصة

بعد استعراض أسماء المدن والقرى اللبنانيّة، والمعلومات الواردة حولها عند الجغرافيّين العرب موضوع هذه الدراسة، يتبيّن لنا أنّ خلاصة البحث تنحصر في ثلاثة استنتاجات:

أوّلًا: لم يُعطِ الجغرافيّون العرب الأهمّيّة الكافية للمواقع السكنيّة في لبنان عمومًا وفي الجبل خصوصًا، لا بل لم يهتمّوا بها قياسًا على ما نجده لديهم حول مُدنٍ أخرى في بلدانٍ أخرى.

ثانيًا: لم يلتفتوا إلى المواضيع الاجتماعيّة الحياتيّة ما عدا بعض الإشارات القليلة المُبعثَرة التي لا تشفي غليل الباحث في الحضارة اللبنانيّة في تلك المدّة.

ثالثًا: لم يكونوا دقيقين في إعطاء تحديد المواقع الجغرافيّ. واللافت للانتباه أنّنا نصادف عدم الدقّة هٰذه عند ياقوت وغيره من المؤلّفين ممّا يؤكّد لنا أنّ معظم مَن كتب هٰذه المعلومات الجغرافيّة حول المدن والقرى اللبنانيّة خاصّة، إنّما كتب نقلًا عن مصادر أخرى، قراءةً أو سماعًا، دون أن يكون قد زار المناطق اللبنانيّة أو تجوّل فيها.

أمّا أسباب هٰذا التقصير فهي:

أوّلًا: صعوبة المسالك في المناطق الجبليّة في لبنان؛ ولنا أكثر من شاهد على ذلك.

فإنّ ابن جبير يقول: «وأجزنا في طريقنا بين هونين وتبنين بِوادٍ مُلتفّ الشجر، وأكثر شجره الرُّند، بعيدِ العمق كأنّه الخندق السحيق المَيْرى تلتقي حافتاه ويتعلّق بالسماء أعلاه، يُعرَف بالإسْطِيل[1] لو وَلَجَتْهُ العساكر لغابت فيه، ولا منجى

(١) قرأها دُوسُو Dussaud: الإسْطَبْل. راجع حاشية الصفحة ٢٣ من كتاب دوسّو الوارد ذكره في لائحة المراجع.

ولا مجال لسالكه عن يد الطالب فيه؛ المهبط إليه والمطلع عنه عقبتان كَزودان، فعجِبْنا مِن أمْر ذلك المكان. فأجَزْناه ومشينا عنه يسيرًا وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الإفرنج يُعرَف بتبنين»[1].

والشاهد الثاني هو نصّ لصالح بن يحيى حيث يقول:

«وطلع أسْنَمَر نايب طرابلس إلى جبل كسروان من أصعب مَسالِكه وأجتمعتْ عليهم العساكر وأحترت على جبالهم ووطئت أرضًا لم تكن أهلها يظنّون أنّ أحدًا يطالها...»[2].

فإذا كانت الحال على هٰذا الشكل أيّام صالح بن يحيى (ت ≈ ١٤٤٦ م.) فكيف بها متّي أو ثلاثمئة أو أربعمئة سنةٍ من قَبل؟

ثانيًا: شَكّل لبنان، بالنسبة إلى الوافدين عليه، تجّارًا وحجّاجًا، نقطة عبور نحو الشرق. فالتجّار القاصدون مُدنَ الشرق كانوا يسلكون طريق الساحل لسهولتها؛ والحجّاج كذلك سلكوا طريق الساحل نحو بيت المَقْدِس في فلسطين ومن هناك توجّهوا إلى مكّة.

ثالثًا: يمكن التساؤل عن وجود أسباب سياسيّة عسكريّة قد تتمثّل في حركة المدّ والجزر بين الجيوش العربيّة وغير العربيّة ـ الصليبيّة خاصّة ـ التي كانت تتناوب السيطرة في تلك الحقبة على لبنان، والتي جعلت الذين وفدوا إلى لبنان لا يأمنون التجوُّل في كلّ مناطقه. فهذا ابن حوقل يقول:

«ولا وَجْه لِذِكْر ارتفاع ما خرج عن أيدي أهل الشأم والباقي من الشأم في أيدي المسلمين وحُكمهم فيه نافِذ وأمرُهم فيه ماضٍ فهو ما كان على ساحل بحر الروم [من] حدّ أطرابلس وأنّه إلى نواحي يافا وعسقلان [لأنّ اللاذقيّة وما نزل عنها وحاذاها تحت جزيتهم ومقاطعتهم]، وما عدا ذٰلك فللروم وقبضتهم وحوزتهم، قد استولت عليهم أسيافهم والحُكم فيه إليهم...»[3].

---

(١) ج: ص ٢٧٤.

(٢) صالح بن يحيى؛ تاريخ بيروت، تحقيق كمال الصليبي وفرنسيس هورس وغيرهما، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨.

(٣) ح: ص ١٨٨.

كما يقول المقدسيّ بكلّ صراحة: «وقد أعْرَضْنا عن ذكر طرسوس وأعمالها لأنّها بيد الروم»[1]. وهذا، برأينا، وإن وَرَد في الحديث عن طرسوس، إلّا أنّه قد ينطبق على بقيّة الأماكن والمناطق.

(١) م: ص ١٣٤.

مصادر البحث ومراجعه

١ - المصادر

- إبن بطّوطة، محمّد بن عبدالله: رحلة ابن بطّوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥.
- إبن جبير، محمّد بن أحمد: رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- إبن حوقل، أبو القاسم النصّيبيّ: كتاب صورة الأرض، تحقيق كرامرز، الجزء الأوّل، ليدن، ١٩٣٨.
- إبن خرداذبه، عبيدالله بن أحمد: المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٨.
- إبن الفقيه، أبو بكر أحمد الهمذانيّ: مختصر كتاب البلدان، تحقيق ونشر دي خويه، ليدن، ١٨٨٥.
- إبن منظور، محمّد بن مكرّم: لسان العرب، طبعة دار المعارف بمصر.
- إبن يحيى، صالح: تاريخ بيروت، تحقيق كمال الصليبيّ وفرنسيس هورس وغيرهما، بيروت، ١٩٦٩.
- أبو الفداء، إسماعيل بن علي: تقويم البلدان، طبعة رينو ودو سلاين، الجزء الأوّل، باريس، ١٨٤٠.
- قدامة بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٨.
- المقدّسيّ، شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٧.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٨٤.
- اليعقوبيّ، أحمد بن واضح: البلدان، تحقيق ونشر دي خويه، ليدن، ١٨٩١.

٢ – المراجع:

- فريحة، أنيس: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة، مكتبة لبنان، طبعة ثانية منقّحة، بيروت، ١٩٧٢.
- Dussaud, René: *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, éd. Geuthner, Paris, 1927.

صدر عن دار المشرق